الفلسطينيون يواجهون أقوى سلاح... طائرات الاستطلاع الإسرائيلية

26-10-2004

يواجه الفلسطينيون والمقاومة على وجه التحديد تحديا صعبا في ظل اعتماد جيش الاحتلال على سلاح الجوي الإسرائيلي الأكثر تفوقا في الشرق الأوسط وبشكل خاص طائرات الاستطلاع..وتستخدمه اليوم لضرب المقاومين وتنفيذ مجازر في مختلف المدن الفلسطينية كما حدث مؤخرا شمال قطاع غزة وخان يونس وفي جرائم الاغتيالات التي كان آخرها اغتيال القائد المهندس عدنان الغول.

بقلم وسام عفيفة

يواجه الفلسطينيون والمقاومة على وجه التحديد تحديا صعبا في ظل اعتماد جيش الاحتلال على سلاح الجوي الإسرائيلي الأكثر تفوقا في الشرق الأوسط وبشكل خاص طائرات الاستطلاع، حيث تعتبر الدولة العبرية من الأوائل والقلائل في العالم التي تفوقت في ابتكار وتطوير هذا السلاح، وتستخدمه اليوم لضرب المقاومين وتنفيذ مجازر في مختلف المدن الفلسطينية كما حدث مؤخرا شمال قطاع غزة وخان يونس وفي جرائم الاغتيالات التي كان آخرها

اغتيال القائد المهندس عدنان الغول.
وفي هذا الصدد ذكرت صحيفة "معاريف العبرية" أن تأكيد الفلسطينيين بأن طائرة بدون طيار قصفت بصواريخ سيارة كان يستقلها عدنان الغول الرجل الثاني في حركة "حماس" ومساعده عماد عباس، ليس مجرد خيال إذ اعترفت الولايات المتحدة باستخدام طائرات بدون طيار في مهام هجومية وبإطلاقها صواريخ "فردتور" وبتمكنها من حمل صواريخ "هلفير" المشابهة للصواريخ التي تطلقها طائرات "أباتشي".
ويجري تحليق الطائرات بدون طيار من الأرض ويتم إطلاق الصواريخ منها بواسطة أجهزة تحكم عن بعد. وقامت طائرات كهذه بعمليتها الأولى في ضرب أعضاء من شبكة "القاعدة" في اليمن عام 2002،
واستخدمت الطائرات منذ ذاك الحين بمهام

كثيرة في أفغانستان والعراق.
وتوجد للطائرات الهجومية بدون طيار أفضليات كثيرة بالمقارنة مع استخدام طائرات "أباتشي"، إذ تستطيع البقاء في الجو فترات طويلة بانتظار ظهور الهدف، كما أن تحليقها أقل تكلفة بكثير من تكلفة تحليق الطائرات الحربية المروحية، بالإضافة إلى أنها تصدر ضجيجا أقل. ويطلق عليها الفلسطينيون "الزنانة" أو "عيون القتلة".. وتعتبر "طائرات "بدون "طيار" تعتبر نقلة نوعية في عالم التسليح والطيران!!
وتعد الطائرات غير المأهولة الاستطلاعية والمقاتلة أحدث مرحلة وصلت إليها تطوير طائرات الاستطلاع والتجسس التي قامت فكرتها الأساسية على علاج قصور الرادارات في اكتشاف الأهداف التي تُحلِّق على ارتفاع منخفض، فكان الحل حمل

الرادارات على سطح طائرة أو منطاد لاكتشاف الأهداف المنخفضة التي لا تتمكن من سرعة تحديدها بسبب كروية الأرض؛ ما يؤثر على سرعة إيصال المعلومات إلى مراكز تجميعها لاتخاذ الإجراءات اللازمة.
يقول "لانمان" المشرف على برنامج تطوير الطائرات بدون طيار في مختبر أبحاث سلاح الجو في "أوهايو" بالولايات المتحدة: إن هذه الطائرات "ستغير أسلوب القتال في المستقبل"؛ ما دعا العديد من الدول لامتلاك وصناعة هذه الطائرات بأنواع متعددة مثل ألمانيا والكيان الصهيوني جنوب أفريقيا وإيران.
إلا أن المشكلة كانت في حالة رصد "طائرات الاستطلاع" من قبل الدول المعادية، وهو ما يؤدي إلى مخاطر كبيرة تهدد حياة طاقمها من طيارين وفنيين، وكان الحل هو تنفيذ طائرات غير مأهولة يتم

التحكم فيها عن بعد من خلال مراكز متابعة أرضية وتقوم بنفس مهام المراقبة والتجسس التي كانت تقوم بها طائرات الاستطلاع المأهولة.

* البداية:

في عام 1994 طلبت وكالة مشاريع البحوث المتقدمة بالولايات المتحدة، وهي دائرة حكومية تدعم العمل العسكري المتقدم، عروضاً لصناعة طائرة آلية بدون طيار تقوم بعمليات المراقبة والتجسس لتحل محل طائرة التجسس يو 2 - يستخدمها مفتشو الأمم المتحدة الآن في مراقبة المواقع العراقية - حتى يتوقف تعريض الطيارين للخطر عند قيامهم بمهمات رقابية روتينية.

وكانت "جلوبال هوك" أول نوع يظهر من هذه الطائرات، لتعتبر طائرة استكشاف بعيدة المدى، وهي معروفة بجناحيها الأطول

من جناحي "البوينج" حيث يصل طول الجناح إلى 34.8 مترا، وتستطيع رغم سرعتها أن تلتقط صورا بالغة الدقة والوضوح، كما يمكنها تغطية مساحة 40 ألف ميل بحري وهي تطير بدون توقف لمدة تصل لـ 35 ساعة، يصل أقصى ارتفاع لها أثناء الطيران إلى 65 ألف قدم (19500 متر).

* محرك قوي:

ولتنفيذ تلك المواصفات كان لا بد أن يتم تزويد الطائرة بمحرك قوي قادر على تحمل الوزن ويمكن التحكم فيه إلكترونيا، بالإضافة لاقتصاد ممتاز في الوقود لتطير لأطول فترة ممكنة. وحيث إن الطائرة يجب أن تطير ببطء وتحوم لمدة طويلة، كان لا بد من أن يحل محل الهياكل المعدنية المصنوعة من الألومنيوم والفولاذ مواد خفيفة الوزن مثل ألياف الكربون.

وبالطبع كان من أهم مكوناتها أجهزة الرادار التي تعمل بطريقة الاستشعار عن بعد لرصد الأهداف من خلال إرسال ذبذبات كهرومغناطيسية ترصد الأهداف سواء المتحركة أو الثابتة عبر الاصطدام بها والارتداد لمركز الإرسال، لتقوم الحواسب الإلكترونية باستقبالها بالإضافة إلى صور كاميرات المراقبة المتواجدة على سطح الطائرة، والتي ترسلها بدورها لمراكز المراقبة الأرضية ليقوم الخبراء بتحليلها.

* حاملة صواريخ:

يعد أهم ما طرأ من تغيير على هذه الطائرات هو القدرة القتالية، حيث تم تزويدها في بداية عام 2001 بصواريخ وأجريت أول تجربة في صحراء نيفادا، إذ تم إصابة طائرة مهجورة للجيش الأمريكي، وبتطوير هذه القدرة أصبح بمقدور طائرات الاستطلاع البحث عن الهدف المطلوب

وتوجيه الصواريخ إلكترونياً إليه باستخدام أشعة الليزر، مع إبقاء القرار للقاعدة الأرضية التي يتم المراقبة من خلالها في إصدار الأمر لاستهداف الهدف الذي تم رصده.

* الكيان.. أهم المطورين:

يستخدم الكيان الصهيوني طائرات الاستطلاع بدون طيار بشكل موسع في الأراضي الفلسطينية، حيث يطلق عليها الفلسطينيون لقب "عيون القتلة" لدورها القاتل في مراقبة المقاومين الفلسطينيين ومتابعة نشاطاتهم ونقل صور مباشرة من المدن الفلسطينية إلى مراكز القيادة العسكرية للاحتلال، كما تستخدم لتوجيه العبوات الناسفة و تفعيلها بعد وضعها من قبل عملاء الاحتلال؛ حيث يمكنها الوصول للمناطق التي لا يتمكن للاحتلال الصهيوني من الوصول لها لتنفيذ عمليات الاغتيال، كما

يصعب قصفها بطائرات الأباتشي، فيتم وضع العبوات الناسفة من قبل العملاء التابعين للكيان ويتم توجيهها إلكترونيًا من قبل الطائرات بدون طيار وتفجيرها.

* التصدير.. والمواصفات:

وتبعاً لما ذكره مركز الإعلام الفلسطيني في أكتوبر 2002، فقد أصبح الكيان من الدول المصدرة لهذا النوع من الطائرات حيث طلبت منها الولايات المتحدة تجهيز 300 طائرة من هذا النوع للحرب على العراق وقد راع الكيان الصهيوني عند صناعته لهذا النوع من الطائرات عددا من المواصفات أهمها:

- كفاية التشغيل وسهولة الاستخدام من قبل الفنيين بحيث يمكن التحكم بها وتوجيهها حسب الاحتياج.
- سهولة التجهيزات حيث يتم إطلاقها من داخل سيارة خاصة بها في أي وقت.

- قلة الكلفة حتى لا تشكل خسائر ذات قيمة في حال سقوطها، فيبلغ ثمنها 3 ملايين شيكل (الدولار يساوي 4.8 شيكلات).

* عيوبها.. وظائفها ..

وبالرغم من أن هذه الطائرات تلغي الأخطار التي كان يتعرض لها الطيارون، فإن بعض الخبراء يرى أن الطائرات غير المأهولة مثل "بريداتور" و"جلوبال هاوك" تعاني بعض الثغرات مثل البطء وعدم اتخاذ رد الفعل المناسب في الوقت المناسب.

ويؤكد المحللون العسكريون أنه إذا سمح لصناعة الطائرات المقاتلة المأهولة بأن تختفي ولم يتم تطوير شيء يحل محلها فإنها تعد مجازفة كبيرة، لأنه لا أحد يدري ما يمكن أن يحدث لو أن الطائرات المقاتلة غير المأهولة لم تعمل كما هو مخطط لها!

خاصة أن المهام التي توكل لطائرات الاستطلاع لا يستهان بها وأهمها:

- اكتشاف الأهداف الجوية، على جميع الارتفاعات، وإنذار القوات.
- قصف الأهداف على الأرض بشكل دقيق.
- قيادة وتوجيه عمليات المقاتلات الاعتراضية.
- توفير المعلومات اللازمة لتوجيه الصواريخ أرض / جو.
- متابعة وتوجيه القاذفات والطائرات المعاونة.
- عمليات الإنقاذ.
- الاستطلاع البحري.
- توفير المعلومات لمراكز العمليات والقوات البرية.
- تنظيم التحركات الجوية.

* التحدي الفلسطيني:

ومقابل هذا التحدي الكبير في وجه المجاهدين في فلسطين خاصة في هذه المرحلة حيث الهجمة الصهيونية الشعواء

على قطاع غزة، تخرج التحذيرات والاحتياطات الأمنية، وتظهر محاولات إبطال مفعول هذا النوع من الطائرات المجرمة. فقد دعا الدكتور نزار ريان عضو القيادة السياسية لحركة المقاومة الإسلامية حماس وأحد أبرز قادة الحركة في محافظة شمال قطاع غزة المجاهدين أن يأخذوا حذرهم بشكل كامل دون الاستهانة بالاحتياطات والإجراءات الأمنية. وطالب الدكتور ريان أن المجاهدين أن يجعلوا سواتر من فوقهم كالأقمشة والواقيات وأضاف: "إننا بأشد الحاجة لحياة كافة مجاهدينا الأبطال لأننا نريد أن نكمل مشوارنا فهدفنا فلسطين كل فلسطين وليس إزاحة العدوان عن الشمال فقط فكل فلسطين محتلة وعلينا أن نحررها ونخلصها من دنس الغزاة الصهاينة. ونوه القائد ريان: "علي المجاهدين أخذ السواتر الفوقية لحجب الرؤية عن طائرات

الاستطلاع الصهيونية وأوضح ريان أن عقول مهندسي القسام تتجه نحو محاولة الوصول للطائرات الحربية الصهيونية سائلاً المولى عز وجل أن ترى محاولاتهم النور قريبا".

* بين أمريكا وإسرائيل:

هذا وتعكف الدوائر المختصة والمعنية بقيادة القوات الجوية الأمريكية على كيفية إخراج دراستي جدوى لإنتاج طائرة بدون طيار من طراز جلوبال هوك "Global Hawk" إلى حيّز التنفيذ، وكان قد مول تكاليفهما معمل أبحاث القوات الجوية الأمريكية "US Air Force Research Laboratory- AFRL".

وكُشف النقاب عن الدراسة الأخيرة في مؤتمر تقنيات الفضاء الذي عقد في أوائل فبراير 2003، بمدينة البوكيرك في ولاية نيومكسيكو، وهي تؤكد أنه يمكن مد زمن طيران تلك الطيارة من بضع ساعات إلى عدة أشهر بدون توقف. وقامت وزارة

الحرب برصد مبلغ يقدر بمليار دولار أمريكي من موازنتها لعام 2004، لتطوير المزيد من الطائرات غير المأهولة؛ المسلح منها " Unmanned Combat Aviation Vehicle - UCAV" وغير المسلح "Unmanned Aviation Vehicle-UAV".

للعودة للأعلى